totfim

نهج اليقين بواضح التبيين وعلى التابعين المقتدين بهدايهم فى الدين
اما بعد فيقول العبد المسكين احمد بن زين الدين هذه كلمات ذات تبيين
وسداد فى بيان القدر فى افعال العباد ووضعتها على تقرير السيد الشريف
وفيها للكلام تشريف متمما لكل قول من الثلاثة ما نقص من احتجاجه غير
مبين لاستقامته واعوجاجه ثم ارفع للحق اعلام منهاجه واورد على
مذهب من خالف الحق بعض النقض لانه لنصرة الحق على فرض كتبتها اذا
امرنى بذلك بلمع شيخى الحليم الاواه حسن السمت والدليل الشيخ
عبدالله ابو زين اناراالله ايامنا ببقائه وجعل همه فى الاستعداد
للقائه انه على كل شئ قدير قال السيد شريف اعلم ان مسئلة
القدر فى الافعال الاختيارية للعباد من الغوامض التى تحير فيها الالباب هام
واضطربت فيها اراء الانام اقول اعلم ان الله سبحانه لم يغادر شيئا
ما فى خزائنه ولا مبينا مشروحا على اكمل املاكه لتحتمله العباد
واجمل اشياء بتعلمه الاشارة ويكون شرحه وبيانه فى كل بحسبه ما ظهر ظهر
بيانه وما بطن خفى برهانه وذلك لحسب احتمال الاشياء عنه سبحانه
واليه الاشارة بقوله تع فسالت اودية بقدرها وتبيينه سبحانه لذلك
فى القرآن وفى العالم وفى انفس الخلق وهو معنى اسراره فى خلقه ثم
لما كان المخاطب والمكلف والمعرف انما هو الانسان لانه اكمل اصناف
الخلق لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم فيلزم كماله ان يكون جامعا
وان يكون مملكا قال تع خلق لكم ما فى الارض فيكون مختارا والا لم تكن
جامعا مملكا ولكن على وجه نبينه ان شاء الله تع وكونه مختارا لانه
صنع المختار قال تع فجعلناه سميعا بصيرا يوجب لكونه مملكا ان
يكون له من نفسه داعيان متضادان وهما العقل والنفس فالعقل
عن يمينه يدعوه الى الله ابدا ويدعوه الله منه قال تع وناديناه

من جانب الطور الايمن والنفس عن شماله تدعوه الى خلاف العقل مما
يقتضيه طبعها ان النفس لامارة بالسوء معناها ان المخلوق له اعتبار ان
من ربه وهو العقل وهو اعتبار من نفسه وهو النفس وكل منهما يصلح
ان يسكن الانسان وهما جناحاه فقد يطير الانسان فى اية من اية الله
اما فى الكتاب التكوينى وهو العالم الكبير والتدوينى وهو القران او فى
عالم الغيب الصغير الذى هو الانموذج منهما والمثل لهما وهو الانسان
نفسه فيشتبه لشدة التشابه كل منهما بالاخر والتشابه مقتضى كل منهما
بالاخر وتشابه وبيان هذا البيان كثير فى القران كقوله تع فاحتمل السيل
زبدا رابيا ومما توقدون عليه فى النار ابتغاء حلية او متاع زبد مثله
كذلك يضرب الله الحق والباطل فجعل الحق زبدا ثابتا والباطل زبدا
مجتثا وكذا قوله تع كشجرة طيبة وكشجرة خبيثة فاذا نظر فى اية من احد
الكتب الثلاثة قد يلتبس عليه الداعيان البادران منه داعى العقل وداعى
النفس فلا يهتدى الى الحق فاكمل الله عليه الحجة بالانبياء والحفظة الذين
لا يلتبس عليهم الداعيان لما اتيهم من مدده بحسب استعدادهم وتاهلهم به كذلك
لذلك قال تع الله اعلم حيث يجعل رسالته فمن حصل له اللبس وعمل بما
امر الله به من الرد اليه الى الله والى الرسول والى اولى الامر نجا لان قولهم
محفوظ عن الباطل لا ياتيه من بين يديه ولا من خلفه ولا من باطنه ولا من
ظاهره لان من عرف باطنه عرف ظاهره وفاز من الحظ الاوفر والنصيب
العلى والرقيب ومن لم يعرف باطنه وسلم لظاهره نجى لموافقته للبديهية و
للفطرة وللعقل الطبعانى الاولى الذى لا يخرج منه مكلف وكان عن قولهم ع
فى هذا كان لا جبر ولا تفويض ولكن امر بين امرين ويأتى الكلام فى
هذا المقام انشاء الله تع ومن لم يسلك هذا الطريق المظلم بمصباح يمسك
به سلك التيه وهلك فيه وصدق الشريف فى قوله تتحير فيها الاوهام

الادهام واضطربت فيها اداء الانام وان كان من اولئك المضطربين و
ياتى بيان اضطرابه والسبب فى الاضطراب فى النشاتين ماذكرناه مرتين
ومن لم يجعل الله له نورا فاله من نور قال فذهب جماعة يويدهم المعتزلة
اصحاب واصل بن عطاء الله وهو اول من قال بالمنزلة بين المنزلتين
وكان من اكابر تلامذة ابى الحسن البصرى فلما اخذ واصل يقرر به فى المنزلة
بين المنزلتين واعتزل ابى الحسن البصرى واصحابه قال ابو الحسن اعتزل عنى
واصل فسموا بالمعتزلة هو واصحابه الى ان الله اوجد العباد واقدرهم على
تلك الافعال بان خلق لهم الالة والصحة وهى القوة التى يكون العبد بها
متحركا مستطيعا للفعل وبتهيئة بالاسباب التامة وهذا مذهب اهل العدل
والامامية والمعتزلة الى هذا الحرف وفوض اليهم الاختيار فيها فهم مستقلون
بايجادها على وفق مشيتهم وطبق قدرتهم وهذا خاص بالمعتزلة فقولهم
فهم مستقلون تفريع على قولهم وفوض اليهم الاختيار يعنى ان الله سبحانه بعد
خلق الالة والصحة وتهية الاسباب البسولة فى افعالهم الا امره ونهيه القوليات
اللذان لامدخل لهما فى الفعل والترك بوجه وماسبق من الالة والصحة هو معنى
اقداده اياهم على الفعل وفعلهم الطاعة والمعصية بمشيتهم وزعموا انه تع
اراد منهم الايمان والطاعة ارادة محبة بامر قولى بحسب ذكره الكفر والمعصية
كراهة ضد المحبة بنهى قولى قالوا وعلى هذا يظهر امور اى فوائد امور يصح بها
الاعتقاد الاول فائدة التكليف بالاوامر والنواهى وفائدة الوعد والوعيد
يعنى ان العبد اذا لم يستقل بالوعد لم يصح امره ولا نهيه لانه اما ان يستقل بفعله
او يستقل به غيره او يشاركه به والاخران باطلان ضرورة ان المستقل بالفعل
هو المامور به والمنهى عنه فاذا كان غير الانسان توجه الامر اليه فيرتفع التكليف
عن العبد ويقع التكليف فى الامر المامور وعلى التشريك يكون الامر والنهى لكل
والواقع خلافهما فيثبت الاستقلال بالفعل فى الامر والنهى وفائدة الوعد

بالثواب لا يكون لعبد على فعل غيره ولا يستقل بالثواب مع التشريك في موجبه والوعيد بالعقاب لا يكون على عبد بوزر غيره وكذا في التشريك ولا تزر وازرة وزر اخرى هذا في دار التكليف الثاني استحقاق الثواب والعقاب في دار الجزاء اذ لا يستحق ثواب ما لا يعمله ولا عقاب ولا يفعله لقوله تع وان ليس للانسان الا ما سعى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وغير ذلك من الايات والعقل شاهد بحسن وهذا وقبح ما سواه الثالث تنزيه الله تع عن ايجاد القبايح التي هي انواع الكفر والمعاصي وعن ارادتها يعني انا لو قلنا كما تقوله الاشاعرة انه لا مؤثر في الوجود الا الله لزمنا ان نقول انه اوجد الكفر في الكافر وعن جميع ما نهى عنه فلو كان كذلك لكان يقبح منه ان يعذب الكافر على ما لم يكن منه وهذا عند كل عاقل قبيح ان يامر السيد عبده بالمضي او يلقيه من سطح ثم يعاتبه لم مضيت ولم وقعت ويعاقبه على ذلك وهذا قبيح لا يجوز من الغني المطلق العالم بقبح القبيح وحسن الحسن ومثل الفعل ارادته في القبح والحسن وعلى اصلنا من ان العبد فاعل للحسنة والسيئة باختياره ومستقل بالفعل والاكتساب صح الامر والنهي ظ المدح والذم والثواب والعقاب ويكون سبحانه منزها عن ايجاد هذه القبايح وعن ارادتها ولهم شواهد من ظ الكتاب والسنة كثيرة جدا لا يحتاج الى ايراده لكنهم غفلوا عما يلزمهم فيما ذهبوا اليه وهو اثبات الشركاء الله في الايجاد حقيقة حيث الا مؤثر في الوجود عند الاشعري الا الله فاذا ثبت ان العبد فاعل كان شريكا لان الفعل تاثير يكون منه تاثير يكون منه تاثير المفعول به والتاثير وجود ولا يفيض الوجود الا من الحق سبحانه قال المعتزلي لا نثبت موجودا الا ما اثبته الله العالم بما خلق حيث يقول وتخلقون افكا وهو خير الرازقين واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني وغير ذلك قال الاشعري اسناد الفعل الى الفاعل مجاز وهذه

١٣٣

وهذه الاية من الايات المتشابهة وترد الى المحكم وهو قوله تع والله خلقكم وما
تعملون والموصول حرفي فى اذ الاصل عدم تقدير الضمير وهو شاهد بخلق الاعمال
قال المعتزلي ماتقولون فى ادلتنا نقول فى ادلتكم الموصول اسمى وحذف
عايده قياسى وبالجملة بمثل هذه المناقشة التى لا طائل فيها سود الكتب فاتو
وانفذوا المحابر ولو ردوه الى اهله لكفاهم من القيل والقال ولا شبهة فى انه
اى اثبات الشرك لله فى الايجاد حقيقة اشنع من جعل الاصنام شفعاء
عند الله حيث انه سبحانه توعد من قال بذلك ما نعبدهم الا ليقربونا الى
الله زلفى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون ان الله لا يهدى من هو كاذب كفار
فحكم عليهم بالكذب والكفر ولم يجعلوهم اربابا على الحقيقة بل جعلوهم غير
مستقلين فى الفعل وانما هم شفعاء فما ظنك بمن جعل العبد فاعلا مستقلا
فانها مقالة اشنع من تلك وايضا يلزمهم ان ما اراده ملك الملوك لا يوجد
فى ملكه وان ما كرهه يكون موجودا فيه وذلك نقصان شنيع فى السلطنة والملكوة
وذلك ان ملك الملكوت سبحانه اذا اراد من زيد الصلوة ولم يصل ذكره
منه الزنى وزنى كان فى ملكه ما لا يريد ولم يكن فيه ما اراد واين ما شاء
الله كان وما لم يشأ لم يكن واذا كان كذلك لم تكن سلطنته تامة وكاملة
لم يكن عظيم السلطان ويكون ملكوته ناقصا لان ملكوته تابع لارادته ويجب ان
يكون الملكوت مطابقا للملك والملكوت فى الملك كالروح فى الجسد والملكوة
فعلوت من الملك للمبالغة كالرحموت من الرحمة والرهبوت من الرهبة فاذا
اراد الصلوة من زيد كانت صورتها فى الملكوت فاذا لم يصل زيد اضمحلت الصورة
لان الصلوة لا تقوم بدون المادة فكان نقصا فى الملكوت واعلم ان كلا مفتون
ملقن حجته وقد نصب الله لكم مرايا ومعلمين فمن اراد ان ينظر وجهه فلينظر
فى المرءاة الصافية وهى القران والسنة فمن لم يدرك صفة وجهه لضعف
بصره فليرد الى قوى البصر ليريه صفة وجهه وهم المعلمون حيث الله تعالى

وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون وهم الذين قال فيهم لمن كان له قلب والمتعلمون هم من القى السمع وهو شهيد بذوقه لما القى اليه من المعلم والباقى اوجب الله عليهم الود الى المتعلمين وبين الذين عقلوا عن المعلمين فانهم الوسائط بين الوعيع وبين الواعين ولا يجوز لاحد من الوعية ان يسلك طريقا بدون الوسايط من قوله تعالى وجعلنا بينهم اى بين الوعية وبين القرى التى باركنا فيها وهم الواعون قرى ظاهرة وهم الوسائط وقدرنا فيها السير اى لابد لكل سائر من النزول فى القرى الظاهرة والسير فيها اى فى فضلها دون ما بينها لبيته ودما يحتاج اليه منها فى سيره لبالى مما افتكم به عن المعلمين ما لم تعرفوا ماخذه ولا تعقلوه واياما ما عرفتم دليله من المتعلمين عن المعلمين وعقلتموه او بالعكس على احد التاويلين امنين من العثرة والضلالة خارجين بذلك عن الغفلة والجهالة وفى رواية ان المراد بالقرى الظاهرة هم المعلمون ظاهرا وان المامورين بالسير هم المتعلمون وان القرى التى بارك الله فيها هى علامات سبحانه ومقاماته التى لا تعطيل لها فى كل مكان ولذلك قال الصادق ع ولا جبر ولا قدر ولكن منزلة بينهما فيها الحق التى بينها لا يعلمها الا العالم او من علمها اياه العالم وارادة بلا قدرة لا تفويض فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا اى لا نحتاج الى الوسائط وظلموا انفسهم اى وضعوها فى غير مواضعها فجعلناهم احاديث اى مثلات ومواعظ والتعيد من وعظ بغيره والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين قال وذهبت طائفة والمراد بهم اصحاب ابى الحسن الاشعرى الى انه لا يؤثر فى الوجود الا الله المتعالى عن الشريك فى الخلق والايجاد كما انه متعال عن الشريك والايجاد كذلك متعال عن القبيح والالحاد وقد مضى بيان وجه الشركة عندهم فى قول المعتزلة يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد هذان الحرفان محكمان وليس فيهما فى الحقيقة للاشعرى حجة لانه سبحانه اجرى بحكمته مشيئته على وجهين

وجهين ويأتي بيان الشيئين انشاء الله لا علة لفعله ولا راد لقضائه لان العلة
لو كانت لزم الدور او التسلسل وان انحصرت في مفعولاته وان انتهت اليه لزم الجبر
والكل محال اما الاول فلانه لو خلق الاشياء كلها لعلة فتلك اما ان تكون
ذاته او انتهت اليها او لا فان كانت ذاته او انتهت اليها لزم الاحتياج وان
كانت غير ذاته فهي مخلوقة اذ لا واسطة ومعلولة والا لم تكن لفعله علة فان انتهت
الى احدها جاء الدور وان تمادت جاء التسلسل فلم يكن الا يفعل لا لعلة ولا راد
لقضائه معلوم بالعقل والنقل ويلزم منه ان الاشياء كلها بقضائه خيرها وشرها
وحلوها ومرها والا كان في ملكه ما لم يقضه واذا كانت كلها بقضائه لا فعل للعبد
مع فعل الرب لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون لان افعاله لا تجري على العلل سوى
ذاته وهو يحكم ما يريد ولا يحكم عليه وهم يسألون لانه يحكم عليهم ويسئلهم عما
اجراه على ايديهم كما اجرى على ايديهم بلا سبب سوى ذاته ولذلك لا مجال
للعقل في تحسين الافعال وتقبيحها بالنسبة بل يحسن كلها صدورها عنه
تع لعدم العلة في فعله ولقدسه ولعموم قدرته فكل ما يفعل المحبوب محبوب
والاسباب التي ارتبط بها وجود الاشياء بحسب الظ بحيث من مترتب عليها
المسببات ظاهرا في بادي الرأي ليست اسبابا حقيقة لان الاسباب سواء
كانت تامة او ناقصة لا بد وان يكون لها اثر استقلت به في المسببات تاما
كان او ناقصا وقد تقدم انه وجود ولا يكون من غير الواجب تع واذا ثبت
ذلك ظهر انه لا مدخل لها في وجودها ان الارتباط الظاهري لا غيره به
لكنه تع اجرى عادته بانه يوجد تلك الاسباب اولا ثم يوجد تلك المسببات عقيبها
والوجدان شاهد بعدم وجوب العادة وعدم الوجوب يدل على عدم السببية
حقيقة والا اجتمع النقيضان فكل من الاسباب والمسببات صادرة عنه ابتداء
لعدم فقرها الى غيره وقالوا في ذلك تعظيم لقدرة الله وهو ان كل شيء
منه وبه وله واليه وتقديس لها عن شواب النقصان بالحاجة الى الباء

للسببيه فى التاثير الى ما اخر وحرف الى متعلق بالحاجة اى لاحتياج
فان من احتياج فى تاثيره فى حصوله الى سواه يكون ناقصا و تماميته بذلك
السواء واذا قيل بعدم تاثير من سواه مطلقا كان تنزيها للقدرة عن
شوب النقصان قال السيد وذهب الاخرون وهم الحكماء الالهيون الى
ان الاشياء فى قبول الوجود من الواجب الوجود اذا نسبت الاشياء اليه
فى القرب والبعد والشدة والضعف متفاوت لا العكس لان
نسبته سبحانه الى جميع الاشياء نسبة واحدة لا تفاوت فيها قال الله
تع ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت اى فى فعله لان المتفاوت متهافت
فبعض منها لا يقبل الوجود الا بعد وجود الاخر لان ما نقصت قابليته
من قبول وجوده لو كان موجودا قبل تمامها فكانت الاشياء كلها
على حال واحدة والواقع بخلافه والايات المشهورة المشهودة بخلافه
فيكون وجود ذلك الاخر تمام قابلية لوجوده كالعرض الذى لا يمكن
ان يوجد الا بعد وجود الجوهر لنقص قابليته عن قبول وجوده وتمامها
وجود الجوهر الذى يحل فيه ونقص قابليته ليس من نقص فى القدرة عن ايجاده
بوجوده بدون الجوهر من حيث هو عرض المحتاج فيها الى الجوهر لعجزه عن
تعلق القدرة به بدون الجوهر من حيث هو عرض لان وجود المتحيز شرط
فى وجوده وتمام فاعلية فالعجز والنقص منه لانه سبحانه اغنى واقنى
واعطى بالنسبة اليه سبحانه دفعة واحدة وما امرنا الا واحدة كلمح
بالبصر فسالت اودية بقدرها مقدرة تع فى غاية الكمال نفيض
الوجود على الممكنات بحسب قابلياتها المتفاوتة لكل درجات جاء علو
فبعضها صادرة عنه بلا سبب كالعقل الكلى مثلا وبعضها بالسبب
كالنفس الكلية بواسطة العقل وانبا كساير الموجودات وتلك الاسباب
لها مدخل فى وجود ذلك البعض والا لم تكن الاسباب اسبابا لانها

ولكن لضعف وجوده
بالنسبة الى الجوهر الذى
لا يتوقف على وجود
غيره مثلا فلو
تعلقت
القدرة
صح

لانها تمام لقابلية مسببا تها للوجود والقابلية سبب للوجود لانها انفعال
الممكن فى الحقيقة عند فعل الحق سبحانه وذلك تتميم القابلية عن الحق لا
لنقصان فى القدرة بل لنقصان فى القابلية للغنى عن الاستقلال للطف الفاعل
ورحمته وكيف يتوهم النقصان والاحتياج فى القدرة مع ان السبب المتوسط
صادر عنها ايضا وهو الجوهر فى المثل المتقدم متوسطا بين الرب سبحانه وبين
العرض فالله سبحانه غير محتاج فى الايجاد الى ما ليس بصادر عنه اقول ولا ترى
فى هذا الكلام ان مفهوم الصفة حصر النفى للحاجة فى المنفى بل راد وانفى الحاجة
عنه الى كل شئ فى القدرة وكذلك الارادة وانه ليس فى مخلوقاته ما يتوقف وجوده
على ما ليس بصادر عن الله ولا بالله وقالوا الاربعة فى وجود موجود على الكل
وجه داخل فى حيز الامكان سكان العام ولا ماهية فى ان صدور الممكنات عنه
على ابلغ النظام منه سبحانه واحسن الانتظام بنهاية تم فالصادر عنه وهو
الموجود لان الوجود عند المتكلمين ومن خالفهم وهم عرض حال بالماهية
فهو قائم بها وعند الاشراقيين ان الوجود هو الموجود والماهية قائمة به تابعة
عنه واختلف المتكلمون والحكماء من الرواقيين والمشائين هل الماهية مجعولة
ام لا وليس هذا محل الكلام فيها والحق انها مجعولة بالوجود اى بجعل الوجود يعنى
جعلا ثانيا وبالعرض وحيث كان هذا القول الثالث فى الفقه للاشراقيين
والذين يذهبون الى ان الوجود هو الموجود قالوا فالصادر عنه وارادوا به المفعول
ومن المعلوم ان الصادر عن الموجود سبحانه انما هو الوجود وهو الموجود اما
خير محض كالملائكة وذلك ان المحدث من حيث هو يلزمه الاعتباران اللذان
ذكرناهما انفا وهو الغنى من خالقه والفقر من نفسه فالغنى والخير فى المخلوق
هيئة من الوهاب الواجب وتلك الهيئة نفسها فقرة الى واهبها قال تع ومن كل شئ
خلقنا زوجين فالكلمة العليا هى الخير المحض بحكم التنزيل وهو الملك والكلمة
السفلى هى الشر المحض وهو الشيطان فاسمع تم ع ثم احفظ ويأتى تمام هذا الكلام

واما بكسر الهمزة ما يكون الخير منه غالبا على الشر كالانسان وساير الحيوان واما
ما قابل الملك فلان وزاء الجن وخلقه موجود وان كان شرا محضا فى نفسه
ولكن ايجاده الذى هو من الخير غالب على عدميته الذى هى الشر لان ايجاده
من تمام ايجاد ضده ولازم قيامه ومن نهاية قوامه فالخير غالب على الشر ورحمتى
وسعت كل شيء فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا فتكون الخيرات داخلة
فى قدرة الله تعالى بالاصالة لانها وجود والوجود خير كله ولانها صفة القدرة
ومنه واليه واليه يصعد الكلم الطيب والشرور اللازمة للخيرات داخلة فيه با
لتبعية لسكون وجود الشر بتبعية وجود الخيرات ولانها صفة نفس العشقة وبه
لا منه ولا اليه فمن ثم قيل ان الله يريد الكفر والمعاصى الصادرة عن العباد
وارادة تابعة لارادة الخيرات لا ارادة ابتدائية ولكن لا يرضى بها لان
الرضى اول والسخط اخير وفى الحديث القدسى سبقت رحمتى غضبى فا لغضب
والسخط يترتبان فى وجودهما على الرحمة والرضى كل على مقابله والارادة
الابتدائية ليسا وفيها السخط فارادة الكفر والمعاصى تابعة لارادة الايمان
والطاعة على قياس من لسع الحية وهى التى تقتل كالحية المسماة بنت
طبق وغيرها من الحيات اللاتى لا علاج لها الا بقطع اصبعه وكانت
سلامته موقوفة على قطع اصبعه فانه يختار قطعها اى قطع اصبعه بارادته
وهى ارادة تابعة لارادة السلامة ولهذا قالوا لكن بتبعية ارادة السلامة
لان القطع شرط السلامة فلزم ارادة السلامة ارادة القطع ولولاها اى
ارادة السلامة لم يرد القطع اصلا فيتق هو يريد السلامة ويرضى بها و
يريد القطع لاجل السلامة لا لذاته ولا يرضى لانه مكروه وانما طلب لدفع
هو ما اكره منه وهو التلف اشارة الى الفرق الدقيق هذا كلام الشريف واراد
بذلك ان الحكماء انما قالوا ذلك اشارة الى الفرق الدليل فيتق بين فعل الرب
وفعل العبد فى المعصية وانت تعلم ان اسلم العقايد عن الافات وهى العيوب

وهى العيوب التى لا تستقيم صحها الا اعتقاد راحها عند ذوى البصائر يعنى بهم
اشاعرة وعين الرضا عن كل عيب كليلة النافذة فى حقايق المعارف لا
ريب ان نفوذ بصائرهم فى الحقايق على نحو قوله فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء
الفتنة وابتغاء تاويله فبالله عليك ايها الناظر الا ما نظرت بعين الا
نصاف وتركت التعصب والاعتصاف فى هذه الثلاثة ثم اذا عرفتها فعرضتها
على الفطرة بالكتاب والسنة فصفا الحق وزهق الباطل فاخترت لنفسك
ما يخلو قال ما ذكرناه ثانيا متوسطا بين الاول والثالث وانما وسطه
فى الذكر ليترتب عليه قوله فخير الامور اوسطها ثم كتب المعتزلى هذه المذاهب
وجعل مذهبه ثانيا كان الحق معه فخير الامور اوسطها وكذا الحكيم اذا
جعل مذهبه متوسطا بالكتابة كان الحق معه وهذه خرافات التمويه وليلبسوا
عليهم دينهم ولو شاء ربك ما فعلوه ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون
بالاخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون وليس يرضى الا اهل اللغة
الغبادة ومن ختم الله على قلبه وسمعه وجعل على بصره غشاوة والله
الملهم للصواب هذا الحرف محكم ومسلم وهو مما نحن فيه ولكنه ليس عليهما
حلها للخطاء ثم ربى ثم ربى اليه المرجع والماب ليبين لهم الذين يختلفون فيه
وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين واعلم انك اذا اردت المذهب المتوسط
بحيث ليستدل عليه بخير الامور اوسطها هو مذهب الحكيم وهو الاخير فى
الذكر لان المعتزلى ذهب الى ان الافعال من العبد خيرها وشرها مستقل
بذلك ليس وذهب الاشعرى الى انها من الله خيرها وشرها مستقل
بذلك ليس لاحد من عباده فيها حال من الاحوال والحكيم مذهبه التوسط
بان جعل الخيرات من الله وبالله والشرور بالله لا منه لكون الشرور
وجدت بوجود الخيرات فيكون صفة نفوس الخيرات فهو اوسط الثلثة
وخيرها فهو الحق المبين والصراط المستقيم وهو معيار الاعتدال

الذی ضرب الله فیه الامثال وبیانه بلسان اهل الشرع وینبوع الاصل وما تفرع
یحتاج الی تقدیم مقدمة واشارة الی بعض الایات وشرح الحال بنصب
المثال فاعلم انه لما فاض الوجود من کتم الغیب ظهرت به الماهیة لانها
ضده وکل شیء له ضد الا الواحد الفرد فالوجود من الله والیه یعود والماهیة
من الوجود والیه تعود فللوجود صفات وللماهیة صفات وکل صفة من
صفات الماهیة مقابلة لضدها العام من صفات الوجود والوجود وکل صفة
من صفاته بارادة له من الله لذاته ورضی به کذلک والماهیة وصفاتها
تمام امکان الوجود وصفاته فارادتها تابعة لارادته فتکون الارادة لها
للوجود لا بذاتها فارادتها لذاتها ثانیا وبالعرض وکذلک صفاتها فی مقابلة
صفات الوجود علی نحو واحد فالوجود من الله والیه یعود وارادته له ارادة
محبة ورضی اولا وبالذات والماهیة من الوجود والیه تعود وبالله لا منه
ولا الیه وارادته تع لها ارادة عزم وقضاء لا محبة ورضی والامثلة الضروریة
لذلک کثیرة جدا فی العوالم ومنها الشمس واشعتها الواقعة علی وجه الجدار
مثلا والظل الممدود خلف الجدار فالوجود شعاع الشمس الظاهر عن یمین
الجدار هو من الشمس والیها یعود وارادتها له فی الظهور لو کانت مختارة
مثلا فی مقام الدور الرابع ارادة محبة ورضی لذاته ولولا الجدار وکثافته
لم تظهر الاشعة للبصر فالشمس بالشعاع الظاهر اولی من الجدار ولولاه لم
یحس وان کان موجودا عندها لا فیها ومثال الماهیة الظل الظاهر عن
شمال الجدار هو من الجدار والیه یعود لا من الشمس ولا یعود الیها ولکنه
بها ظهر ولولاه لم یظهر وان کان موجودا فی الجدار یعنی انه لا یوجد الا بها
وارادتها للظل فی الظهور لو کانت مختارة کذلک مثلا ارادة عزم وقضاء لا
محبة ورضی اذ لو احبته ورضیته لعاد الیها ولو عاد الیها لم یکن ضدا
ولو لم یکن ظل لم یکن شعاع لان الجدار فی المثل هو نفس الشعاع من حیث

من حيث نفسه لا من حيث الشمس وانما تسامحنا في العبارة للبيان فالجدار
اولى بالظل من الشمس ولولاها لم يكن وصفاة الوجود وصفات الماهية
بهذا النحو فاذا لاحظت هذا المعنى او هذا المثال ولاحظت الذاتيتين المتقدم
ذكرهما العقل والنفس ولاحظت جهة الصلوح التي ياتي ذكرها عرفت الطاعة
والمعصية وارادتهما من الله من العبد والى ما ذكرنا الاشارة بقوله تع ومثل
كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها فمثل الطاعة بالشجرة الثابتة الاصل
لان الطاعة اصلها الوجود الثابت الباقي ببقاء ربه وقال تع ومثل كلمة
خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض فمثل المعصية بالشجرة المجتثة
لان المعصية من الماهية واصلها مجتث لانتهائه الى الامكان الممتنع من
البقاء لذاته ومثله قوله تع والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث
لا يخرج الا نكدا فاسند الخبث الى الخبيث وكذا خروج نباته الى نفسه ومثله
قوله تع وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر فالقصد عليه والجور
فيها وقوله تع وما تشاؤن الا ان يشاء الله فاسند المشية الى العباد وجعل
وجودها موقوفا على مشيته وقوله تع وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى
فنفاه عنه اولا واخرا ولينسبه اليه ظاهرا والى هذه الاولوية التي ذكرناها
في المثال وابانت لها الاياة المذكورة للاستدلال الاشارة بقوله تع في الحديث
القدسي انا اولى بحسناتك منك وانت اولى بسيئاتك مني وبيانه في
العبد انه سبحانه خلق في العبد الالة الصالحة للطاعة والمعصية خلقها للطاعة
لا للمعصية ولا يستتم خلقها للطاعة الا اذا كانت صالحة للمعصية ليجيء
الاختيار وينتفي الاضطرار ويترك المعصية مع انه القدرة عليها و
خلق فيه الصحة وهي القوة التي يكون العبد بها متمكنا مستطيعا للفعل
وتكون صالحة للضدين اذ شرط التكليف باحدهما التمكن من الاخر وصحة
الاقتدار ليتم الاختيار فصلوح الالة والصحة للطاعة والمعصية لازم لصلوحها

للداعيين العقل والنفس فاذا صلح العقل والنفس لاستعمال الالة والصحة
بمقتضى كل منهما وصلح العبد لاستعمال العقل والنفس لشهوته لمقتضى كل منهما
لان العبد مظهر لامر كن فمن الكاف جاء العقل ومن النون جائت النفس
فتم الاقتدار على الطاعة والمعصية والاختيار فيهما ولولا هذا الصلوح
في هذه الامور لزم الجبر في الطاعة والمعصية ولان الاختيار فيهما ولولا هذا الصلوح
شرط الاختيار اذا لم يكن العبد مختارا كان مجبورا ولولا كون مشيئة العبد
للطاعة من مشيئة الله لها بالذات وللمعصية من مشيئة الله لها بالعرض
كان مكرها لزم ان يكون في ملكه ما لا يريد وما لا يريد لا يكون والى هذه الشقوق
الثلاثة الاشارة بقول الرضا عليه السلام ان الله لم يطع باكراه ولم يعص بغلبة ولم
يهمل العباد في ملكه هو المالك لما ملكهم والقادر على ما اقدرهم عليه الحديث
فلاجل هذا الصلوح الذي هو مدار الاختيار لم تكن الطاعة لله باكراه
ولان المكره غير مطيع ولاجل كون مشيئة العبد لمعصية الله من مشيئة الله
لها بالعرض لكون مشيئة الله لها بالعرض من تمام مشيئة الله للطاعة بالذات كما مر فلاحظ فلاجل ذلك لم يعص بغلبة ولاحظ الصلوح المذكور انفا هنا
والى هذه المشية اشار بقوله تعالى وما تشاؤن الا ان يشاء الله ولاجل خلق
الالة والصحة التي يستعملها العبد بالمشيئتين الاختياريتين جاء التكليف
ولم يهمل العباد في ملكه واشار الى الامرين بقوله هو المالك لما ملكهم فقوله هو
المالك نفي للتفويض كما قاله المعتزلي وقوله لما ملكهم نفي للجبر كما قاله الاشعري
وهو قول الصادق عليه السلام لا جبر ولا تفويض ولكن امر بين الامرين والامر بين
الامرين والذي هو اوسع مما بين السماء والارض هو الحق ان الطاعة
التي هي من الله واليه تعود وبامره ورضاه ومحبته ومشيته لا تظهر الا بالعبد
المختار على نحو ما مضى فلاحظ تجد تنبيه الايمان وان المعصية التي هي من العبد
واليه تعود لا تكون الا بالله لا منه ولا اليه ولا بمحبته ولا رضاه ولكن باذنه

بارادته التی هی ارادة الحتم الثانوی التی عبّرنا عنها سابقا بالقدر والقضاء
ولاحقا بانها ارادة بالعرض وتارة بالترک والخذلان وبخلقه الآلة و الصحة
فلذا کان سبحانه اولی بالحسنات من العبد ما اصابک من حسنة فمن الله و
استحقاق العبد الثواب علیها من جهة انها لا تظهر الّا به علی نحو ما ذکره الحکیم
من نقص قابلیاتها وتمامها بما من العبد فلذا کان اولی بالسیئات
من الله واستحقاقه العقاب مع ظاهر المشارکة المفهومة من الاولویة من
حیث انها منه وان المشارکة الظاهرة بانها لا تظهر الا بالله لا منه ولیس کونها
بالله من تمام قابلیاتها کما فی الطاعة لان ما بالعبد فی الطاعة من الله ایضا کما فی
الدعاء وجعل ما امتن به علی عباده کفاء لتادیة حقه ولیس ما بالله فی المعصیة
من العبد والا لزم التفویض والاستقلال فان قلت لم کان ما بالعبد فی الطاعة
من الله وذلک یلزم منه الجبر فی الطاعة قلت کلا صنا کلة ووضع هذه الکلم
انما هو لبیان هذه المنزلة بین المنزلتین فی القدر وما وراء ذلک لیس ان
نتکلم به قبل الاذن لانه من المکتوم والمراد حاصل علی انه اذا ظهر لک الامرین
الامرین بلا لبس فی المعصیة فلا تطلب ما وراءه وان ابلیت الا التحمل فافهم
قولی من الله ولا یوذن فی الزیادة ومعنی کون المعصیة بالله خلقه الآلة و
الصحة والمشیة والاختیار وان لم یکن خلقه لها فتمامها العبد وقوامها
بذلک منه وما اصابک من سیئة فمن نفسک ولذلک کانت مجتثة
علی نحو ما ولو تحققت المشارکة لم یکن مجتثة وانما اختلف ظهور مشیة الله
حتی تعددت بمشیة القابل و قابلیته لها مع ان کلتا یدیه یمین لا اختلاف
مرکبها وتعدده فتنوعت فی ظهورها بالاثار بتنوع محلها الذی تتعلق به
ونظیره اشعة الشمس الواقعة علی الزجاجات المختلفة الالوان فتنعکس عنها مختلفة
وان کانت الاشعة متفقة فی نفسها فالاختلاف بما من العبد ونظیره ایضا

کما قال الشاعر ادی الاحشا عند الجود دینا وعند البذل منقصة وذما کقطر الما

في الاصداف درر ٭ وفي بطن الافاعي صار سما ٭ والى ذلك الاشارة بقول الصادق ع
في دعاء رجب المشهور باسمك الاعظم الاعظم الاعظم الاجل الاكرم الذي وضعته
على النهار فاضاء وعلى الليل فاظلم ومثل ذلك في فعل الفاعل ما رواه الشيخ حسن
بن سليمان الحلي من تلامذة الشهيد الاول وهو شريك الشيخ احمد بن فهد الحلي
ره جميعا ادري في كتابه بسنده المتصل الى الصدوق ره انه قال رجل لعلي
بن الحسين ع جعلني الله فداك بقدر يصيب الناس ما اصابهم ام بعمل قال
ان القدر والعمل بمنزلة الروح والجسد فالروح بغير جسد لا تحس والجسد بغير
روح صورة لا حراك بها فاذا اجتمعا قويا وصلحا كذلك العمل والقدر فلو لم يكن
القدر واقعا على العمل لم يعرف الخالق من المخلوق وكان القدر شيئا لا يحس ولو لم
يكن العمل بموافقة من القدر لم يمض ولم يتم ولكنهما باجتماعهما قويا ولله فيه العون
لعباده الصالحين الحديث فافهم وهذا هو الامر بين الامرين وقد كشفت
القناع لذوي الانتفاع وكثرت الترديد في العبادة بما هو مفيد والحكيم وان كان
الحق فيما قال من بين الثلاثة وهو الاوسط من بين الثلاثة لكنه لا يقطع
حجة من يعترض الا اذا كان من اهل العرفان واستفاد من اهل المعاني البيان
وكلامنا هذا لمن عرفه قاطع لكل عذر لانه في هذا الشان تمت الحجج الثلاث
حجة الحكمة وحجة الموعظة الحسنة وحجة المجادلة بالتي هي احسن حتى سكن
بيوتنا واكل وشرب من طعامنا وشرابنا فليسلك هذا الطريق المظلم ممضيا حبنا
حتى يصل الى الفضاء الواسع والضياء اللامع والا فليحذر ولينظر الى قول امير
المؤمنين ع للاغنياء الذين لا يفرقون بين الليل والنهار قال لمن سئله في
بحر عميق فلا تلجه وسئل ثانية فقال طريق مظلم فلا تسلكه وسئل ثالثة فقال
سر الله فلا تتكلفه الحديث فاذا نظرت الى كلماتي هذه فانت عرفت مرادي
والا فلا تتكلف سر الله ورده الى الله والى رسوله والى الحفظة والى من علموه
ذلك وتمام بيان حجج الثلاثة بايراد كلام في الجملة في الرد على المعتزلي والاشعري

والاشوى هوان قول المعتزلي فوض اليهم الاختيار فيها ثم فرع على هذا
انهم مستقلون بايجادها الخ لا يمكن تعلقه تعقله مع القدم وانما
يكون مع الحدوث لان القديم لا يكون في ملكه ما لا يريد وهذا لا يجتمع
مع الاستقلال بدون تدبر وقد قال الصادق عم ومن زعم ان الخير
والشر بغير مشية الله فقد اخرج الله من سلطانه ومن زعم ان المعاصي
بغير قوة الله فقد كذب على الله ومن كذب على الله ادخله النار قال امير
المؤمنين عم في حديث الشامي ولم يملك مفوضا وقال الصادق عم ولو
فوض اليهم لم يحصرهم بالامر والنهي وفي رواية حريز وابن مسكان
عن ابي عبد الله عم انه لا يكون شيء في الارض ولا في السماء الا بهذه الخصال
الخصال السبع بمشية وارادة وقدر وقضاء واذن وكتاب واجل.
فمن زعم انه يقدر على نقص واحدة فقد كفر وعن ابي الحسن موسى بن
جعفر عم قال لا يكون شيء في السموات ولا في الارض الا بسبع بقضاء و
قدر وارادة ومشية وكتاب واجل واذن فمن زعم غير هذا فقد كذب
على الله او رد على الله وهذا لترديد من الراوي وبيان هذا قد مضت
الاشارة اليه فلاحظ كيلا يلتبس عليك الامر من هذين الحديثين الذين
ظاهرهما الجبر فان هذه السبعة على نحو ما قلنا لا في المشية وقد قال
ابو الحسن الرضا عم ان لله ارادتين ومشيتين وارادة عزم وارادة
حتم وارادة عزم ينهى وهو يشاء يامر وهو ما يشاء او ما رايت
انه نهى ادم وزوجته ان ياكلا من الشجرة وشاء ذلك ولو لم يشاء
ان ياكلا لما غلبت مشيتهما مشية الله وامر ابراهيم ان يذبح اسحق
ولم يشاء ان يذبحه ولو شاء لما غلبت مشية ابراهيم مشية الله فقد
ظهر لك مما مضى بيان المشيتين والارادتين والفرق بين المشية
والارادة مذكور في رواية يونس الاتية وان كنا وعدناك الزيادة

[illegible]

واختصرنا خوف الاطالة هناك الا انه لا باس ببعض الاشارة فهو انه تع
شاء الامر بالشيء وشاء مشية محبة ورضى وقضاء لما علم مشية اقتدا
لما له واختياره له هو واقع وشاء نهي لامر بالشيء مشية محبة ورضى
كذلك وشاء الا يقع ذلك الشيء مشية قضاء لا رضا كذلك وهذه المشية
عن شمال المشية الاولى وتلك بمين وانقل الكلام في النهي وفصل بهذا
المعنى في الخصال السبع التي يتوقف عليها الشيء من طاعة ومعصية وليس
للاشعري بمثل اخبار الخصال السبع حجة مع ما يلزمه في مذهبه ويأتي بعض
ما يلزمه فقد ظهر بطلان الكلام المعتزلي في قوله بالتفويض ولدينا في
هذا وهو نسبة التفويض اليه قولنا قبل انه اول من قال بالمنزلة بين
المنزلتين لان مراده ليس في هذا وانما هو يقول ان صاحب الكبيرة لا مؤمن
ولا كافر في هذا الشان والا لكان محقا والزمه الذي حداه على الضلالة
والكفر وكذلك الثواب والعقاب والوعد والوعيد يحتمل بدون القول با
لتفويض وغير ذلك واعلم ان هذا القول هو التفويض لانهم يسمون لهذا
تارة مفوضة وتارة قدرية وهم قدرية هذه الامة ومن كتاب الشيخ حسن
بن سليمان الحلي عن امير المؤمنين ع قال ان القدرية تعرض على النار غدوا
وعشيا حتى تقوم الساعة فاذا قامت الساعة عذبوا مع اهل النار بانواع
العذاب فيقولون ربنا عذبتنا خاصة وتعذبنا عامة فيرد عليهم ذوقوا
مس سقر انا خلقنا كل شيء بقدر وذكر لك بعض الروايات مسودة ترخيها
فيما ذكرنا فاعطها التامل الحق يعطيك المذهب الحق وتصدق ما ذكرت
لك واما قول الاشعري انه لا يؤثر في الوجود الا الله فان اراد بالموجود من
حيث هو هو خالف ارادته عبادته وان اراد به الموجود من العباد
وافعالهم فقد تقول على الله حيث الله يقول قل ءانتم اعلم ام الله و
الله الذي يعلم ما خلق يقول حكاية عما ينسبون ما عملوه اليه فويل للذين يكتبون

انما قيل شية اقتدا لما له وان
كان المعنى بمشية اختيار لما
له فرقا بين الاختيارين
حيث ان الاول شيء
بره والثاء
شيء بالارادة
منه ذلك
ظلح
العا

يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل
لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون وقال تع وقالت اليهود يد الله
مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ما اصابك من حسنة
فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك كقوله تع ان الله لا يظلم الناس
شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون وقال فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة
فاسند الهداية اليه واسند الضلالة الى انفسها اشعارا بالفرق لاني انه تع
اسند الاضلال اليه ايضا لانا نقول ان الاضلال المسند اليه انما هو استنطاق
طبايعهم واختيارهم وقد بينه سبحانه فى كتابه بحيث لا يكاد يحتاج مع التدبر
الى تفسير وذلك انه قد علم والخلق اليه صايرون بعلمه الذى هو ذاته الاول
الاخر الظاهر الباطن فافهم ثم فافهم وفى الخلق السعيد الذى يستحق السعادة
وما يترتب عليها من الثواب والشقى الذى يستحق الشقاوة وما يترتب عليها
من العقاب وقد اجرى حكمته كما مر انه لا يمضى مفعوله الا مشروحا مبينا وانه
بيل الاعذار قال فلله الحجة البالغة فلو عذب الشقى قبل ان لا يعمل مقتضاء
اسعد واسعد السعيد كذلك لكان للشقى ان يقول لم تعذبنى قبل المعصية و
لتشهد له الخلق فاراد ان يخبرهم ويستنطق حقايقهم ليهلك من هلك عن بينة
ويحيى من حى عن بينة ولا يستنطقهما الا بما لا يعملون ولا يكون الا بعد تعرفه لهم
بانه لا يقول الا الحق وهو العليم الخبير وانما يفعل المصلحة وياتى بيان
هذا الحرف فبعد ان عرفهم نفسه وصفاته وافعاله فى العالم وفى كتابه
وفى انفسهم وعلى السن الهادين كلفهم بما فيه نجاتهم واراد ان يستنطقهم
بالحق الذى لا يعلمونه ليجزى قوما بما كانوا يكسبون ومما اختبرهم به ما قال
فى لظى عليها تسعة عشر فقال الكافرون عجزنا عن تمام العشرين وقال المؤمنون
هو اعلم بما خلق وفى ذلك فوائد ذكرها فى كتابه وما جعلنا اصحاب النار
الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا والمراد به الاختبار و

واستنطاق الطبيعة بدليل ما اخبر به عن مال فتنة لهم الى ما يوزعهم في عاقبتهم
ومما اسنده اليهم لم يسنده اليه ولا الى فتنة لهم لكونه منهم وان كان بفتنة كامة
ليستيقن الذين اوتوا الكتاب بموافقته لما في توراتهم وانجيلهم وزبورهم
ان الزبانية تسعة عشر ويزداد الذين امنوا بانه لا يقول الا الحق وانه
اعلم بما خلق ايمانا بذلك وهو موافقته للكتب المنزلة ولا يرتاب الذين
اوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا اراد
الله بهذا مثلا واللام في وليقول للعاقبة في الظ وفي الباطن مما امرنا بكتمانه
ويأتي في رواية صالح بن الحكم النبيلي نظيره وهو من المكتوم فلما ردوا
في عدد الزبانية بعد ما تعرف سبحانه اليهم بانه لا يفعل الا بعلم وهو يعلم وهو
يعلم ما خلق بقولهم ماذا اراد الله بهذا مثلا لم لا يتمها عشرين وبعض منهم
يقول على سبعة عشر فتعجزون انتم عن اثنين فيسخرون من الحق ويستهزؤن
لانهم من الذى خبث لا يخرج الا نكدا فاستنبح ما فيه فنفحوا بما فيهم وهو سبحانه
بين
سبحانه وضعهم فكان منهم ما في علمه بابتلائه واستنطاقه لهم بعد هداية النجد
وابلاء الاعذار والتقدم بالوعيد والتلطف في الترغيب فبلغت حجته وعلت
كلمته وما ربك بظلام للعبيد وقال تع وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا
اى عقلا او عاقلا فهذا ضلاله سبحانه لهم ولذلك قال بعد قولهم ماذا اراد الله
بهذا مثلا وبعد قوله للمؤمنين ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنين قال
يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء ومثل ذلك قوله تع ان الله لا يستحي ان
يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فاما الذين امنوا فيعلمون انه الحق من ربهم انه لا
يمثل بالبعوضة فما فوقها فاما الذين امنوا فيعلمون انه الحق من ربهم انه لا
يمثل وهو جناحها او الذبابة الا ما هو كذلك بحيث لا يحسن ان يمثل به النسر و
الفيل لانه يقول الحق ولا يستحى واما الذين كفروا ماذا اراد الله بهذا مثلا يعني
ان البعوضة والذبابة مستهجنة في المثل ولا يعلمون ان تمثيل حبة الخردل بالجبل

بالجبل واتّبع فاستنطقهم عمّا بين جوانحهم من الانكار في الاضلة وقبل ذلك
وبعد ذلك مرة بعد اخرى وما كانوا ليؤمنوا بما كذّبوا به من قبل قوله يضلّ به
كثيرا ويهدي به كثيرا اي يضلّ بالمثل المتحيّر به كثيرا ممّن ما راى فيه ويهدي به كثيرا
ممّن علم انّه الحقّ من ربّهم وكما وعد سبحانه على لسان نبيّه موسى عم بني اسرائيل
لتنزيل التوراة اربعين يوما وامر بكتمان عشرة ايام عنهم لما علم منهم فوعد موسى
بذي القعدة وذلك بعد ان عرّفهم عن الله سبحانه انّه يمحو ما يشاء ويثبت ولا يمحو
ولا يثبت الّا الحكمة وقال لهم عنه انه لا يسئل عمّا يفعل وميعادي ثلثون يوما
ذو القعدة وربّي يمحو ما يشاء ويثبت وهذا اخي خليفتي عليكم فان نسيتم او
جهلتم وهو الذي نصبه الله لكم يذكّركم ويعلّمكم فلا تزيغوا عنه فتهلكوا فلما مضى
الطور وصام واستبان آخر ذي القعدة وكرهت الملائكة ذلك منه وهو صائم
امر باتمام العشر لذلك وليبتلي ما في صدور قومه فعبد الظالمون منهم العجل بفتنته
لما ابتلاهم واستنطقهم حقايقهم باخفاء عشرة ايام فكذّب لذلك الجاحدون
لانهم قبل ذلك لم يجدوا ملجأ عن الاقرار فلما وجدوا اظهروا ما كتموا وازداد بذلك
المؤمنون ايمانا لثباتهم على ايمانهم مع ما يخالف افهامهم ولايمانهم بالبداء الذي
ما بعث الله نبيّا الّا به قوله تع حكاية عن موسى عم في ذلك ان هي الّا فتنتك
اي اختبارك وابتلاؤك تضلّ بها من تشاء اي بكتم العشرة اي بمحو اظهارها
واثباته وتهدي بذلك من تشاء وامثال ذلك كثير وعلى ما ذكرنا ينكشف لك الحال
من الهداية والاضلال وايضا على ما مضى في قول الاشعري انه تع المتعالي عن الشريك
في الخلق والايجاد لانه ينافي الوجوب فكذلك يتعالى عن القبيح والكفر والالحاد
وتقدّس عن ظلم العباد لانّه ينافي الغنى المطلق وقد ردّ سبحانه على من ردّ بذلك
حيث يقول واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها قل ان
الله لا يامر بالفحشاء اتقولون على الله ما لا تعلمون قل امر ربّي بالقسط الآية وقال
فذرهم وما يفترون وذروا الذين يلحدون في اسمائه سيجزون ما كانوا يعملون وقال

سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا نحن ولا اباءنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب
الذين من قبلهم حتى ذاقوا باسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون
الا الظن وان انتم الا تخرصون فلينظر العاقل في هذه الاية المحكمة كيف صرفها
الاشعري الى المتشابه وهل هذه الا ابتغاء التاويل وانت اذا تدبرت القران
كفاك في هذا الشان بان الله يكل فعل الطاعة الى العبد والعبد فعل المعصية
بالله على النحو الى امر اى ان العبد يفعل الطاعة بامر الله ومشيته ورضاه ومحبته
وتوفيقه ونعمته ويفعل المعصية بقوة الله ونعمة الله وقضائه وخذلانه و
قول الاشعري لا علة بفعله خطا فان الله سبحانه العالم بفعله نص على العلة في
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون افحسبتم انما خلقناكم عبثا وما خلقنا
السموات والارض وما بينهما لاعبين وحيث انه لم يعرف العلة انكرها فانى عليه
بعد ما سمعها من ربه في كتابه ان يسلم والله يقول بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما
ياتهم تاويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين واعلم
ان اصحابنا من اهل البيت اثبتوا العلة وسلموا ولم يدعوا معرفتها وردوه وذلك
الى الله والى الرسول صلى الله عليه وآله والى الحفظة وانا اشير الى العلة وذلك ما كشفنا لك
من السر المجرد وامر ذناه في اللفظ المردد وهو ان الله واحد لا شيء معه ازلا ابده
وسرمده وليس ثم شيء غيره فيكون معروفا بالتمييز معلوما بالحدوث والتغير
تع دني وهو الان على ما كان فخلق كل شيء من خلقه في ازمنة وجوده وامكنة
حدوده فلذلك تفاوتت مفعولاته ليعلم ان لا تتفاوت ذاته والازمان له ولا
مكان فجعل بعضها علة لبعض وصفة لبعض علة لذاته اخر وبالعكس ليعلم ان لا علة
له وجعل بعضها محتاجا الى بعض ليعلم ان لا حاجة به الى شيء ولا دور لاختلاف حيثياتها
وتعاكس حركات افلاكها ولا تسلسل لاحاطته بما لا يتناهى من الممكنات واحصى كل
شيء عددا واهو وراء ما لا يتناهى بما لا يتناهى كذلك الله ربي الله ربي
قال الله تعالى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة ولولا دفع الله الناس بعضهم

بعضهم ببعض لفسدت الارض فجعل الدفع علة لنظام الارض واهلها وما فيها كما
جعل التوحيد علة لنظام السموات والارض قال تع لو كان فيهما آلهة الا الله
لفسدتا ففساد الارض بعدم الدفع وفساد السموات والارض بعدم التوحيد
ومجرى العلة واحد وان كان في كل بحسبه وقال تع وما كان له عليهم من سلطان
الا لنعلم من يؤمن بالاخرة ممن هو منها في شك ليميز الخبيث من الطيب واقسموا
بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن اكثرهم لا يعلمون
ليبين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين فخلقهم
لينقل بهم حوايجهم من بعض الى بعض فاصحاب اليمين وصفاتهم خلقهم للرحمة لانهم
هم وصفاتهم نهاياة كمالاتها وهي اليمين ومنها خلقوا واليها يعودون
واصحاب الشمال وصفاتهم خلقهم من خلف الرحمة وهو الغضب لانهم هم
وصفاتهم نهاياة كمالاته وهو الشمال ومنها خلقوا واليها يعودون قال تع الا
من رحم ربك ولذلك خلقهم قال الصادق ع لابي بصير اي وللرحمة فتدبر هذه
الاية تكفك وذرهم في خوضهم يلعبون وقال تع الخبيثات للخبيثين والخبيثون
للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات وقال تع ومن اياته
ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها اذ يغشيكم النعاس امنة منه
وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجس الشيطان وليربط على
قلوبكم ويثبت به الاقدام الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بامره ولتبتغوا
من فضله ولعلكم تشكرون فانظر الى هذه العلل الظاهرة وبالجملة فالقران
مشحون بان فعله لغاية والعجب كل العجب من الاشعري يسمع الله يقول في كتابه
فعلت كذا لكذا وهو يقول انما فعلت لا لكذا ولكن هذه من احدى الكبر من
اقواله واعتقاداته وقول الاشعري لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ليس فيه له حجة
هو لا ليس يسئل عما يفعل لا يحكم عليه ولانه لا يفعل الا بعلم وحكمة قال تع
تبارك الله احسن الخالقين وهم يسئلون لجهلهم ولانه الحاكم عليهم وقوله

لا مجال للعقل فی تحسین الافعال وتقبیحها بالنسبة الیه ممنوع لانه تع یقول افلا
یتدبرون القران ام علی قلوب اقفالها افلا یتدبرون القران ولو کان من
عند غیر الله لوجدوا فیه اختلافا کثیرا فکیف یامرهم بالتدبر ویلومهم علی
عدم الفهم وقد بیّنا انهم یعرفون الاختلاف والّا لا فرق بین ما عنده
وبین ما من عند غیره الا الاختلاف وهو یعلم ان کل شیء یحسن وبالنسبة
الیه من اختلاف وایتلاف ویعلم الآجال لعقوبتهم الا یعلم من خلق ولانه لو
کان للعقل مجال بالنسبة الیهم لا بالنسبة الیه لاندفع حکم قوله تع سنریهم آیاتنا
فی الافاق وفی انفسکم افلا تبصرون وایضا من این الفرق فان کان منکم
فقد جعلتم القران عضین واذ فیه فبشر عبادی الذین یستمعون القران
فیتبعون احسنه وفیه ضرب لکم مثلا من انفسکم الآیة وان قلتم منه فهو
نقول علیه لانه قبح ذلک کما قبح منهما حیث قال تع ان الله لا یامر بالفحشاء
ومن ذلک قوله تع ادع الی سبیل ربک بالحکمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتی
هی احسن وهذا مجال العقل فی الاحوال الثلاثة الذی یتوقف علیها الدعوة
الی سبیل الرب وقوله بل یحسن صدورها عنه مصادرة اذ لو کان یحسن صدورها
عنه لما قبحها منه ومن عباده تع دب ولتوعد معتقد ذلک حیث یقول الظانین
بالله ظن السوء علیهم دائرة السوء وغضب الله علیهم ولعنهم واعد لهم
جهنم وسائت مصیرا وقوله والاسباب التی ارتبطها وجود الاشیاء بحسب
الظاهر لیست اسبابا حقیقة ولا مدخل لها فی وجودها متناقض لان قوله بحسب
الظاهر یناقض لها قوله ولا مدخل لها لان الارتباط فی الظاهر له مدخل فی وجودها
الا ان تکون تقع بدون هذه الاسباب ولم تقع قط الا فی معجز وهو اعظم الاسباب
لدی اولی الالباب وهذا المدخل فی مقام الخلق وهذه الاسباب اسباب حقیقة
فی کل بحسبه ولهذا اسند الفعل الیها وهو اعلم بما قال وبما خلق وقوله اجری
عادته لکم حق الا انه علی سبیل الوجوب واللزوم فی رتبة الامکان الّا انه سبحانه

انه تع قال فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا وقوله فكل
من الاسباب والمسببات صادرة عنه ابتداء مدخول لانه يلزم منه ان اعتقاد
المشركين والكفار بان الصنم الحق وانه المعبود في الارض وان تسميتهم له
بذلك كلها مخلوقة لله والاشعري لا ينكر ان كل مخلوق له معلوم له وهو يقول
تع ام تنبئونه بما لا يعلم في الارض والاشعري يقول بخلقه وبعلمه ما هذا الا
شيء تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا وقال في هذا ان
دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا والاشعري يقول ان دعوا للرحمن
بفعله وخلقه ومشيته ولا مؤثر في الوجود الا الله فكيف يستعظم ما هو منه وعن
امره وبتكوينه تع ربي وقد قال تع وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارديكم فاصبحتم
من الخاسرين وقوله في ذلك يعظم لله تع الخ فيه ان تنزيه الله وقدرته وفعله عن
قبايح افعالهم اشد تعظيما للقدرة وهو على كل شيء قدير وقوله وتقديس لها عن
شوائب النقصان بالحاجة في التاثير الى امر اخر قد اجاب عن هذا الحكيم بما لا
مزيد عليه بان قدرة الله في غاية الكمال وانما الحاجة راجعة الى المقدور في قبوله
للتاثير الى امر اخر يتوقف عليه لنقص في قابليته وتمام ذلك في ذلك الاخر ولقد اطلت
في هذه الابحاث ولم اهذب العبارة لئلا يخفى الاشارة فتنبه واما مذهب الحكيم فهو
على نهج الحق في المسئلة وان كان على طريقة البحث ولم يستقص فيه على شقوق
المسئلة وكلامنا ليس على طريقة البحث بل بالكشف على نحو البيان ولهذا الا ابني
وجه الاستدلال من الدليل غالبا ففي الالفاظ وحذف المعاني تجدها جواهر نفيسة
لتشربك في انحاء الافاق وتنجم بك على صافي المنهل وتسقيك شربة لا تظمأ
بعدها ابدا وستذكرون ما اقول لكم وافوض امري الى الله ان الله بصير بالعباد
وها انا مورد لك ما تيسر لي من الاخبار مما وعدناك به مما هو كما في الفقيه وفي
الاستبصار ففي الكافي في صحيح البزنطي عن ابي الحسن الرضا ع قال الله
ابن ادم بمشيتي كنت انت الذي تشاء لنفسك ما تشاء وبقوتي اديت فرائضي

وبنعمتي قويت على معصيتي جعلتك سميعا بصيرا قويا ما اصابك من حسنة فمن
الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك وذلك انى اولى بحسناتك منك
انت اولى بسيئاتك منى وذلك لا اسئل عما افعل وهم يسئلون وعن ابى
بصير قال كنت بين يدى ابى عبد الله ع جالسا وقد سئله سائل فقال جعلت
فداك يا ابن رسول الله من اين لحق الشقاء اهل المعصية حتى حكم لهم بالعذاب
على عملهم فقال ابو عبد الله ع ايها السائل حكم الله عز وجل ان لا يقوم له احد من
خلقه بحقه فلما حكم بذلك وهب لاهل محبته القوة على معرفته ووضع عنهم ثقل
العمل بحقيقة ما هم اهله ووهب لاهل المعصية القوة على معصيتهم لسبق علمه فيهم ومنعهم
اطاقة القبول منه فوافقوا ما سبق لهم فى علمه ولم يقدروا ان ياتوا حالا ينجيهم من عذابه
لان علمه اولى بحقيقة التصديق وهو معنى شاء ما شاء وهو سره وقال على ع
فى مسيره الى الشام فى الحديث المشهور لشيخ سئله وتظن انه كان قضاء حتما وقدرا
لازما انه لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب والامر والنهى والزجر من الله
وسقط معنى الوعد والوعيد فلم تكن لائمة للمذنب ولا محمدة للمحسن ولكان المذنب
اولى بالاحسان من المحسن ولكان المحسن اولى بالعقاب من المذنب تلك مقالة
اخوان عبدة الاوثان وخصماء الرحمن وحزب الشيطان وقدرية هذه الامة
ومجوسها ان الله تبارك وتع كلف تخييرا ونهى تحذيرا واعطى على القليل كثيرا
ولم يعص مغلوبا ولم يطع مكروها ولم يملك مفوضا ولم يخلق السموات والارض
وما بينهما باطلا ولم يبعث النبيين مبشرين ومنذرين عبثا ذلك ظن
الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار وفى رواية يونس قال قلت
لى ابو الحسن ع الى ان قال قال يونس ولكنى اقول لا يكون الا بما شاء الله
واراد وقضى وقدر فقال يا يونس ليس هكذا لا يكون الا ما شاء الله واراد
وقدر وقضى يا يونس تعلم ما المشية قلت لا قال هى الذكر الاول فتعلم ما الارادة
قلت لا قال هى العزيمة على ما يشاء فتعلم ما القدر قلت لا قال هى الهندسة

الهندسة ووضع الحدود من البقاء والفناء قال ثم قال والقضاء هو الابرام
واقامة العين قال فاستاذنته ان ياذن لي ان اقبل راسه وقلت فتحت
لي شيئا كنت عنه في غفلة وموثقة ابراهيم بن عمر اليماني عن ابي عبد الله
قال ان الله خلق الخلق فعلم ما هم صائرون اليه وامرهم ونهاهم فما امرهم به من
شيء فقد جعل لهم السبيل الى تركه ولا يكونون اخذين ولا تاركين الا باذن
الله وعن ابي بصير عبد الله ع قال قلت اجبر الله العباد على المعاصي قال
لا قلت ففوض اليهم الامر قال لا قلت فما ذا قال لطف من ربك
امر بين ذلك وعن ابي عبد الله ع لا جبر ولا تفويض بل امر بين امرين
قيل وما امر بين امرين قال مثل ذلك رجل رايته على معصية فنهيته
فلم ينته فتركته ففعل تلك المعصية فليس حيث لم يقبل منك فتركته
كنت انت الذي امرته بالمعصية وعن صالح النيلي قال سئلت ابا عبد الله
هل للعباد من الاستطاعة شيء قال فقال لي اذا فعلوا الفعل كانوا مستطيعين
بالاستطاعة التي جعلها الله فيهم قال قلت وما هي قال الآلة مثل
الزنا اذا زنا كان مستطيعا للزنى حين زنى ولو انه ترك الزنى ولم يزن
كان مستطيعا لتركه اذا ترك قال ثم قال ليس له من الاستطاعة
قبل الفعل قليل ولا كثير ولكن مع الفعل والترك كان مستطيعا قلت
فعلى ما يعذبه قال بالحجة البالغة والآلة التي ركب فيهم ان الله لم يجبر احدا
على معصيته ولا اراد ارادة حتم الكفر من احد ولكن حين كفر كان في
ارادة الله ان يكفر وهم في ارادة الله وعلمه الا يصيروا الى شيء من الخير
قلت اراد منهم ان يكفروا قال ليس هكذا اقول ولكني اقول علم انهم سيكفرون
فاراد الكفر لعلمه فيهم وليست ارادة حتم وانما هي ارادة اختيار
اقول وجميع ما اشرت اليه بالكتمان فقد اشير اليه في هذا الحديث الشريف
بالبيان فمن اراد السر المكتوم عن الاغيار وقع لا خفائه

المستتر الاسرار فعليه بتفهيمه على وجه فمن وثق فاخذ من ذلك قول الرضا ع

الذي مضى بعضه قال ع ان الله لا يطيع باكراه ولم يعص بغلبة ولم يهمل

العباد في ملكه هو المالك لا ملكهم والقادر على ما اقدرهم عليه فان ائتمر

العباد بطاعته لم يكن عنها صادا ولا منها مانعا وان ائتمر والمعصية فان

شاء ان يحول بينهم وبين ذلك فعل وان لم يحل وفعلوه فليس هو الذي

ادخلهم فيه ثم قال ع من يضبط حدود هذا الكلام فقد خصم من خالفه وامثال

ذلك كثير وبيان هذه الاخبار يعرف مما مضى

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على
محمد واله الطاهرين كتبه مؤلفه
في العشرين من جمادى
الاولى في سنة ١٢٣٠

هذا تاريخه

وفرغ من كتابة هذه الرسالة في ليلة الثلثا في شهر صفر المظفر من شهور سنة ١٢٣١

وصلى الله على محمد واله الطاهرين والحمد
لله رب العالمين ... ...
... ...
... من ...
كنه كاد

وبه نستعين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي اوضح الحق باكمل بيان واشهد مستوضحيه دلائل سبله مشاهدة

عيانا ودلهم على ابطال الباطل بواضح البرهان ودفع بذلك درجات اهل العلم

والاحسان واولي اليقين والايمان وحط مقام اهل الكفر والطغيان وصلى الله على

نور الاكوان وعلة الكيان محمد رسوله الى الانس والجان وعلى اله سادات الزمان